بسطت على الما فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الما فارساها الله تعالى واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اى
في الرواسي فجاجا اى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون الى
مقاصدهم وجعلنا السما سقفا محفوظا من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب وهم يعني الكفار عن
عن اياتها معرضون اى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها
والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الما وانما قال يسبحون ولم يقل يسبح
على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلا وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها
وهو في كلام العرب كل شي مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك السما الذي فيه ذلك الكواكب فكل كوكب يجري
في السما الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السما وقيل قال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة
ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا بالاخبار
الصادق فسبحان الخالق المدبر خلقه بالحكمة والعدل والقدرة القاهرة غير المتناهية قوله عز وجل وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقاء في الدنيا افان مت فهم الخالدون نزلت هذه الاية حين قالوا نتربص
بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في الدنيا
بشرا لا انت ولا هم فانت ان مت افيبقى هولا وفي المعنى قول القايل •
• فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا • كل نفس ذايقة الموت هذا العموم
مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق
هاهنا عبارة عن مقدمات الموت والالام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اى ونختبركم بالشر والخير اى
بالشدة والرخا والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة اى ابتلا لننظر
كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا ترجعون اى للحساب والجزا قوله واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اى سخريا قيل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا
نبي بني عبد مناف اهذا الذي يذكر الهتكم اى يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب الهتكم
والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون
لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته
وخلقته من العجلة وعليها طبع لما دخل الروح في راس ادم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فوثب قبل ان
تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فلما دخل فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث
بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه بعد كل شي
في اخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيى الروح راسه قال يا رب عجل خلقي
استعجل قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من
نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين
قال الشاعر • والنبع في الصخرة الصما منبتة • والنخل تنبت بين الما والعجل •
اى بين الما والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني فانه يدل عليه قوله تعالى سأريكم
اياتي فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث
ومعنى سأريكم اياتي اى مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا

يستعجلون

يستعجلون القيمة فلذلك قال الله تعالى ويقولون اى المشركون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذا هو
الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزا فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهولا
المستهزين فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون اى يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم قيل السياط ولا هم ينصرون
اى لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا ما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين بل تاتيهم اى الساعة بغتة اى فجاة فتبهتهم اى تحيرهم فلا يستطيعون ردها اى صرفها ودفعها عنهم ولا
هم ينظرون اى لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد كما استهزئ بك قومك فحاق اى فنزل
واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلذلك
يحيق بهولا وبال استهزائهم قوله تعالى قل من يكلؤكم اى يحفظكم بالليل اذا نمتم والنهار معناه اذا انصرفتم في معايشكم
من الرحمن قال ابن عباس معناه يمنعكم من عذاب الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى عن القران ومواعظه
لا يتاملون في شي منها ام لهم الهة تمنعهم من دوننا معناه ام لهم الهة من دوننا تمنعهم ثم وصف الهتهم
بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم اى لا يقدرون على نصر انفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ولا
هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل يجاورون وقيل ينصرون وقيل معناه فلا يصحبون
من الله بخير بل متعنا هولا يعني الكفار واباءهم اى في الدنيا بان انعمنا عليهم وامهلناهم حتى طال عليهم العمر اى
امتد بهم الزمان فاغتروا افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ننقص من اطراف المشركين ونزيد في اطراف
المومنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار المشركين ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى
افلا يرى هولا المشركين بالله المستعجلون بالعذاب اثار قدرتنا في اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد
الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم واماتة رؤسا المشركين الممتعين
بالدنيا اما كان عبرة في ذلك فيومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا وارادتنا فيهم
افهم الغالبون استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل يا محمد انما انذركم بالوحي
يعني اخوفكم بالقران ولا يسمع الصم الدعا اذا ما ينذرون اى يخوفون ولين مستهم اى اصابتهم نفحة من عذاب ربك
قال ابن عباس طرف وقيل شي قليل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل بعدما اقروا بالظلم
والشرك قوله عز وجل ونضع الموازين القسط اى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما
وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها ليوم القيامة
اى لاهل يوم القيامة قيل اراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته سيئاته فاز ونجا
وبالعكس قد خسر والصحيح ان الذي عليه ائمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن
بها الاعمال العباد قال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام سال ربه
ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي من ذا الذي
تقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة فعلى هذا القول كيفية وزن
الاعمال مع انها اعراض طريقان احدهما ان توزن صحايف الاعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة وصحايف السيئات
في كفة والثاني ان يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان
قلت ما معنى قوله ونضع مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذا في حق
الكفار لانه ليس لهم اعمال توزن مع الكفر قوله تعالى فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها معناه
انه لا ينقص من احسان المحسن ولا يزداد في اساءة المسي واراد بالحبة الجز اليسير من الخردل ومعنى اتينا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)